

سرية عمير بن عديّ^(١) إلى العصماء بنت مروان

كان «يزيد بن زيد الخطمي» قد تزوج امرأة من بني أمية بن زيد تدعى «عصماء بنت مروان» وكانت «عصماء» شاعرة قد وقفت شعرها للإساءة إلى الإسلام وإيذاء رسول الله ﷺ، وتآليب الناس ضده وضد أصحابه، وتمادت في غيها بعث رسول الله ﷺ «عمير بن عدي بن خرشة الخطمي» وحده ليريقه منها، وكان أعمى، فذهب إليها، ومكثه الله من قتلها، ولما عاد وأخبر رسول الله ﷺ بما صنع، سماه رسول الله ﷺ «عميراً البصير» وتم ذلك في شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة.

سرية سالم بن عمير العمري^(٢) إلى أبي عفك اليهودي

كان «أبو عفك اليهودي» أحد الحاقدين على رسول الله ﷺ والمسلمين، وكان يقرض الشعر ويقول في التحريض عليهم وإلحاق الأذى بهم، وقد بلغ من الكبر عتياً حتى بلغ من العمر عشرين ومائة سنة، فلما كثر أذاه بعث رسول الله ﷺ إليه «سالم بن عمير العمري» ليخلص المسلمين من شروره وآثامه، فعمد إليه «سالم» وحده، وأخمد أنفاسه، فأراح منه المسلمين، وكان ذلك في شهر شوال من السنة الثانية للهجرة. فقالت «أمامة المزيرية في قتله^(٣)»:

تُكذِّبُ دين الله والمرءُ أحمدًا
لعمر الذي أمناك أن بئس ما يُمني

(١) انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٢٨١).

(٢) انظر الموسوعة الإسلامية الميسرة (١٢٨١).

(٣) ابن هشام (٤/٢٩٣).

حِيَاكَ حَنِيفٌ آخِرَ اللَّيْلِ طَعْنَةً أَبَا عَفَاكِ خَذَهَا عَلَى كَبْرِ السَّنَنِ

سرية زيد بن حارثة إلى القردة

وكانت في شهر جمادى الآخرة من السنة الهجرية الثالثة، حين بعث النبي ﷺ «زيد بن حارثة» إلى القردة لاعتراض قافلة لقريش يقودها «أبو سفيان بن حرب» والقردة ماء من مياه نجد. وكانت قريش من أجمعت أمرها على تحويل طريقها التي كانت تسلك إلى الشام بعد أن كان من وقعة (بدر) ما كان، فلكوا طريق العراق، وخرج «أبو سفيان» في تجار من قريش ومعهم فضة كثيرة، وكان فيهم «صفوان بن أمية»، واستأجروا دليلاً هو «فرات بن حيان» من بكر بن وائل ليدلهم على الطريق. فاعترضهم «زيد» على ذلك الماء، فأخذ العير بأحمالها، وأعجزه الرجال هرباً، وكان الوقت شتاء، ولما قدم «زيد» بالغنائم على رسول الله ﷺ أخذ لنفسه الخمس وهو عشرون ألفاً، ووَزَع الأربعة الأخماس على السرية، وجيء بفرات بن حيان العجلي أسيراً، فعرض النبي ﷺ عليه الإسلام فأسلم، فأخلى سبيله. وقد أنب «حسان بن ثابت» قريشاً على تحويل طريقها، فقال^(١):

دَعُوا فَلَجَاتِ الشَّامِ قَدْ حَالَ دُونَهَا جَلَادُ كَأَفْوَاهِ الْمَخَاضِ الْأَوَارِكِ
بِأَيْدِي رِجَالِهَا جَرُوا نَحُورِهِمْ وَأَنْصَارَهُ حَقّاً وَأَيْدِي الْمَلَائِكِ
إِذَا سَلَكْتَ لِلْعَوْرِ مِنْ بَطْنِ عَالِجٍ فَقُولِي لَهَا: لَيْسَ الطَّرِيقُ هُنَالِكَ
وكانت غزوة القردة أول سرية خرج فيها «زيد بن حارثة» أميراً.

سرية مقتل كعب بن الأشرف اليهودي

وكانت في ربيع الأول سنة ثلاث للهجرة، أخرج ابن هشام في سيرته، وأبو جعفر بن جرير الطبري في تاريخه^(٢)، عن ابن إسحاق، قال: كان من حديث ابن الأشرف أنه لما أصيب أصحاب (بدر)، وقدم «زيد بن

(١) الأبيات في سيرة ابن هشام (٣/٥٧) ولم يذكرها الطبري في تاريخه.

(٢) ابن هشام (٣/٥٧) والطبري (٢/٤٨٧).

حارثة» إلى أهل السافلة، و«عبد الله رواحة» إلى أهل العالية، بشيرين، بعثهما رسول الله ﷺ إلى مَنْ بالمدينة من المسلمين بفتح الله ﷻ عليه وقتل من قَتِلَ من المشركين.

كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بردة الظَّفَرِيِّ، وعبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، وعاصم بن عمر بن قتادة، وصالح بن أبي أمامة بن سهل، قال: كل قد حدثني بعض حديثه، قال: قال كعب بن الأشرف - وكان رجلاً من طيء، ثم أحد بني نبهان، وكانت أمه من بني النضير، فقال حين بلغه الخبر: ويلكم! أحق هذا؟ أترون أن «محمدًا» قتل هؤلاء الذين يسمي هذان الرجلان يعني: زيد بن حارثة، وعبد الله بن رواحة؟ وهؤلاء أشرف العرب وملوك الناس، والله! لئن كان «محمد» أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير لنا من ظهرها.

فلما تيقن عدو الله الخبر، خرج حتى قدم مكة، فنزل على «المطلب بن أبي وداعة بن ضُبيرة السهمي»، وعنده «عاتكة بنت أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، فأنزلته وأكرمته، وجعل يحرض على رسول الله ﷺ، وينشد الأشعار، ويبكي على أصحاب القلب الذين أصيبوا ببدر من قريش، ثم رجع «كعب بن الأشرف» إلى المدينة، فشَبَّ بأم الفضل بنت الحارث، فقال^(١): ثم شَبَّ بنساء من نساء المسلمين حتى آذاهم، فقال النبي ﷺ كما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن عبد الله بن المغيث بن أبي بردة: (مَنْ لي بابن الأشرف؟) قال: فقال «محمد بن مسلمة» أخو بني عبد الأشهل: أنا لك به يا رسول الله! أنا أقتله. قال: (فافعل إن قَدَرْتَ على ذلك، فرجع «محمد بن مسلمة»، فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعَلِّقُ به نفسه، فَذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ، فدعاه، فقال

(١) ذكر الطبري الأبيات: (٢/٤٨٨) وأعرض ابن هشام عن ذكرها وكذلك نحن لأن أم الفضل امرأة العباس عم النبي ﷺ، من الصحابيات الجليلات.

له: (لم تركت الطعام والشراب؟) قال: يا رسول الله! قلت قولاً لا أدري أفي به أم لا؟ قال: (إنما عليك الجهد). قال: يا رسول الله! إنه لا بد لنا من أن نقول. قال: (قولوا ما بدا لكم، فأنتم في حل من ذلك).

قال: فاجتمع في قتله «محمد بن مسلمة» و«سليمان بن سلامة بن وقش» - وهو أبو نائلة، أحد بني عبد الأشهل، وكان أخا «كعب» من الرضاة - و«عباد بن بشر بن وقش»، أحد بني عبد الأشهل، و«الحارث بن أويس بن معاذ» أحد بني عبد الأشهل، و«أبو عابس بن جبر» أخو بني حارثة، ثم قدموا إلى «ابن الأشرف» قبل أن يأتوه «سليمان بن سلامة» أبا نائلة، فجاءه فتحدث معه ساعة، وتناشدا شعراً - وكان أبو نائلة يقول الشعر - ثم قال: ويحك، يا ابن الأشرف! إني قد جئتك لحاجة أريد ذكرها لك، فآتكم عليّ، قال: أفعل، قال: كان قدوم هذا الرجل بلاء علينا، عادتنا به العرب ورمونا عن قوس واحدة، وقطعت عنا السبل حتى ضاع العيال، وجهدت الأنفس، وأصبحنا قد جهدنا وجهد عيالتنا! فقال كعب: أنا ابن الأشرف، أما والله! لقد كنت أخبرتك يا ابن سلامة أن الأمر سيصير إلى ما كنت أقول. فقال سليمان: إني قد أردت أن تبيعنا طعاماً ونرهنك ونوثق لك، ونحسن في ذلك، قال: أترهنوني أبناءكم^(١)؟ قال: لقد أردت أن تفضحنا، إن معي أصحاباً لي على مثل رأيي، وقد أردت أن آتيك بهم فتبيعهم وتحسن في ذلك، ونرهنك من الحلقة^(٢) مافيه وفاء - وأراد «سليمان» ألا ينكر السلاح إذا جاءوا بها -، قال: إن في الحلقة لوفاء.

قال: فرجع «سليمان» إلى أصحابه فأخبرهم خبره، وأمرهم أن يأخذوا السلاح، ثم ينطلقوا فيجتمعوا إليه، فاجتمعوا عند رسول الله ﷺ.

ويتابع ابن هشام: قال ابن إسحاق: فحدثني ثور بن زيد، عن

(١) عند ابن هشام قبلها: أترهنوني نساءكم؟ قال: كيف نرهنك نساءنا وأنت أشب أهل يثرب وأعطرهم؟ قال: أترهنوني أبناءكم؟.

(٢) الحلقة: السلاح كله.

عكرمة، عن ابن عباس، قال: مشى معهم رسول الله ﷺ إلى بقيع الغرقد، ثم وجّههم، فقال: (انطلقوا على اسم الله، اللهم أعنهم)، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى بيته، وهو في ليلة مقمرة، وأقبلوا حتى انتهوا إلى حصنه، فهتف به أبو نائلة - وكان حديث عهد بعرس - فوثب في ملحفته، فأخذت امرأته بناحيتهما، وقالت: إنك امرؤ محارب، وإن صاحب الحرب لا ينزل في مثل هذه الساعة، قال: إنه أبو نائلة، لو وجدني نائماً لما أيقظني، قالت: والله! إني لأعرف في صوته الشر، قال: يقول لها كعب: لو دعي الفتى لطعنة أجاب، فنزل فتحدّث معهم ساعة، وتحدّثوا معه، ثم قالوا له: هل لك يا ابن الأشرف! أن تماشى إلى شعب العجوز، فتحدث به بقية ليلتنا هذه! قال: إن شئتم! فخرجوا يتماشون، فمشوا ساعة، ثم إن أبا نائلة شام^(١) يده في فؤود^(٢) رأسه، ثم شم يده، فقال: ما رأيت كالليلة طيب عطر قط، ثم مشى ساعة، ثم عاد لمثلها، حتى اطمأن، ثم مشى ساعة، فعاد لمثلها، فأخذ بفؤودي رأسه، ثم قال: اضربوا عدو الله، فاختلفت عليه أسيافهم، فلم تُغنِ شيئاً.

قال محمد بن مسلمة: فذكرت ميغولاً^(٣) في سيفي حين رأيت أسيافنا لا تغني شيئاً، فأخذته، وقد صاح عدو الله صيحة لم يبق حولنا حصنٌ إلا أوقدت عليه نار. قال: فوضعت في ثنّته^(٤)، ثم تحاملت عليه حتى بلغت عانته، ووقع عدو الله، وقد أصيب «الحارث بن أوس بن معاذ» بجرح في رأسه أو رجله، أصابه بعض أسيافنا.

قال: فخرجنا حتى سلكننا على بني أمية بن زيد، ثم على بني قريظة، ثم على بُعات، حتى أسندنا^(٥) في حرة العريض، وقد أبطأ علينا صاحبنا

(١) شام: أدخل.

(٢) الفؤود: جانب الرأس.

(٣) الميغول: سوط أو عصاً في باطنه سنان دقيق.

(٤) الثنّة: ما بين السرة والعانة. وعند الطبري في ثنّوته.

(٥) أسندنا: صعّدنا.

«الحارث بن أوس» ونزفه الدم، فوقفنا له ساعة، ثم أتانا يتبع آثارنا.

قال: فاحتملناه فجيئنا به رسول الله ﷺ آخر الليل وهو قائم يصلي، فسلمنا عليه، فخرج إلينا، فأخبرنا به بقتل عدو الله، وتفل على جرح صاحبنا، ورجعنا إلى أهلنا، فأصبحنا وقد خافت يهود بوقعتنا بعدو الله، فليس بها يهودي إلا وهو يخاف على نفسه، قال: فقال رسول الله ﷺ: (من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه)، فوثب «مُحَيِّصَة بن مسعود «على» «ابن سُنَيْنَة» رجل من تجار يهود كان يلبسهم ويباعهم فقتله، وكان «حُوَيْصَة بن مسعود» إذ ذاك لم يسلم، وكان أَسَنَّ من «مُحَيِّصَة» فلما قتله جعل «حُوَيْصَة» يضربه ويقول: أي عدو الله! أقتلته؟ أما والله! لَرُبَّ شحم في بطنك من ماله! قال مُحَيِّصَة: فقلت له: والله! لو أمرني بقتلك من أمرني بقتله لضربت عنقك. قال: فوالله! إن كان لأول إسلام حُوَيْصَة، وقال: لو أمرك «محمد» بقتلي لقتلني! قال: نعم والله! لو أمرني بقتلك لضربت عنقك. قال: والله! إن ديناً بلغ بك هذا لعجب! فأسلم حُوَيْصَة.

قال أبو جعفر: وزعم الواقدي أنهم جاءوا برأس ابن الأشرف إلى رسول الله ﷺ. وهكذا لقي الخبيث عدو الله أخبث نهاية.